

العلمُ الربّاني والموردُ الرّوحاني



إعداد
حمزة بن فايع
إبراهيم آل فتحي عسييري

مقالات
علمية متنوعة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



في ازديادِ العلمِ إرغامُ العِدَى ** وجمالُ العلمِ إصلاحُ العملِ

ابن الوردي

المستهل

حمدًا لله على توفيقه وتيسيره ، وصلاةً وسلامًا على عبده

ورسوله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

أما بعد :

فهنا مقالات مجموعة ، ومنشوراتٌ مضمومة، تتناول العلم وربانيته، والفقه وجواهره، والطلب ومقدماته، والقراءة ومشكلاتها ، جمعت حبًا، ونشرت إفادةً ، وبُذلت عنايةً ، ليسهل قربها، ويطيب نفعها ، لا سيما وهي في حقيقة العلم وركائزه وآدابه .

وكان كلما حضرت خاطرة علمية قيدها وشرحها، أو سبح في معانيها، معتمداً مناهج السلف ورؤاهم ، ومتبركا بهديهم



وخطاهم، فقد أخلصهم الله لدينه، وفتح لهم من فتوحاته،
وأفاض عليهم من بركاته..!
ولذلك كانت كلماتهم كالدرر بهاءً، وكالجواهر لمعاناً،
وكالإبريز صفاءً وغلاءً .

والعشورُ على درةٍ لهم تعد كنزاً ثميناً ، تُجمعُ ويُلْتَف بها، ويسرح
القلمُ في تبيانها وتجلياتها ، ولذلك غالب الطرح البياني هنا ، فيهم
وفي مقولاتهم رحمهم اللهُ ، فهم سابقون ديناً ، وضليعون علماً،
وراسخون فهما واطلاعاً (وَلَيْتَكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ
قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) سورة
الأنعام : ٩٠ .

وقد عُنونت "بالعلم الرباني والمورد الروحاني"

تيمناً بقوله تعالى في أطيّب وصف للعلماء (وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ

بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ) سورة آل عمران:

. ٧٩

سائلين المولى الكريم حسنَ الفهمِ وصحة القصدِ، إنه على كل

شيءٍ قدير .

محاييل عسير

١ / (ولكن كونوا ربانيين)...!

■ العلماء الربانيون، فئة اصطفاها الله بالعلم ، وخصَّها
بخصائص ، وجمَّلهم بمحاسن وروائع ، ليس أقلها أخذُ
العلم بقوة، وحملان الفقه بإخلاص ، وتبليغه بتفانٍ...
(وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ) سورة آل
عمران .

■ فهم من تلقى العلمَ على أهله ، وجمعوه من مصدره،
وساروا على النهج القويم ، عاملون بالعلم، متبعون للسنن
، نصحة للخلق ، مبادرون إلى الخيرات ، ساعون في
الفصائل ، مبادرون إلى الإصلاح ، رحماء بالناس، ورفقاء

بالجهال والضعفاء ، يتدرجون تدريسا ، ويرحمون تعليما ،
يشعون فضلا ونورا وحكمة ، أمارون بالمعروف ، نهاؤون
عن المنكر، ذوو خشوع وخضوع، ولهم أورادهم
وابتهالاتهم الخفية، ولا تكاد تفوت بحال...!

■ قال الإمام ابن القيم-رحمه الله- : (ومعنى الرباني في

اللغة : الرفيع الدرجة في العلم ، العالي المنزلة فيه ، وعلى

ذلك حملوا قوله تعالى لولا ينهاهم الربانيون وقوله كونوا

ربانيين، قال ابن عباس : حكماء فقهاء وقال أبو رزين :

فقهاء علماء ، وقال أبو عمر الزاهد سألت ثعلبا عن هذا

الحرف وهو الرباني؛ فقال : سألت ابن الأعرابي ؛ فقال : إذا

كان الرجل عالماً عاملاً معلماً قليل له هذا رباني ، فإن خرم

عن خصلة منها لم نقل له رباني) .

■ وقد استنبط بعض العلماء من الآية وكلام العلماء

صفات الربانيين ، وعدّها كالتالي : الأولى : الرسوخ في

العلم : جمعا وتحصيلا ، وحفظا وتحقيقا ،

■ الثانية : العمل به ، تطبيقا وابتدارا واقتداء (فَاتَّبِعُونِي

يُحِبِّبْكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ) سورة آل عمران .

■ الثالثة : الإخلاص لله تعالى ، وابتغاء مرضاته ، متباعد عن

الرياء والسمعة .

■ والرابعة : الفقه ، وهي حذق العلم والبراعة فيه ، وحضور

الاستنباطات الشافية .

■ الخامسة: الحكمة، وتعني اصابة الفهم، والتسديد في

القول والعمل (وَمَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا)

سورة البقرة .

■ والسادسة : عزة النفس، والزهد بما في أيدي الناس،

■ والسابعة: الورع ، وهو تنزهه عن الحرام ، وصيانه للعلم ،

وهو اجتناب الشبهات؛ خوفاً من الوقوع في المحرمات .

■ والثامنة : التواضع، الذي يتجلى في أخلاقه لينةً ورجوعاً إلى

الحق ، وطيب سلوكه، ومعاشرته للجميع بلا ترفع أو

استعظام .

■ والمسؤوليةُ تتعينُ على العلماء في المساجد والجامعات

بإحياء هذه المعاني، واستنهاض مدرسة الربانية من جديد ،

من خلال درسهٔ المحكم، وتربيتهم اللصيقة، وإشفاقهم
التام، وحرصهم المتين .

■ ومن مشاهير رباني هذه الأمة أعلام الصحابة وفضلاء

التابعين ، ومنهم الحبرُ ابن عباس رضي الله عنه، وقال محمد

بن الحنفية يوم مات : "اليوم مات رباني هذه الأمة" .

وسيرته اتسمت بمعاني الربانية وصفاتها من العلم الراسخ ،

وحسن الاتباع ، والعمل والبلاغ ، وصحة القصدِ وجمال

الفقه ، ومنفعة الناس ونصرة الحق ، والله الموفق .



٢ / فقه محاسن العلم...!

- العلم كالبحر الخضمّ، والعُبابِ الفسيح، ومن الصعوبة بلعه والإحاطةُ به، ولذلك انتقِ وتخير، فالعمرُ قصير، والمعلومات واسعة..!
- قال حبرُ الأمة ابن عَبَّاس رضي الله عنه: " العلمُ أكثرُ من أن يحاطَ به، فخذوا منه أحسنه ". وهذه المحاسنُ تُعرف من خلال الأُشياخِ المجرِبين، والدعاة المتمرّسين، أو بالاطلاع في كتب أدب الطلب ومقدمات التحصيل، أو ملامسة ما يحتاج الناس، من تصحيح في العقائد، أو تفهيم للعبادات، أو غلبة الخرافات عليهم والمستنكرات، وما شاكلة .

■ وأحسنُ العلمِ الوحيانِ ، ضبطُ أصولهما ، وما تفرع عنهما
باعتماد ، دون توسع أو تشتت ، فيكفي الطالب المبتدئ أولاً :
حفظُ القرآنِ والصحيحين ، وإدمان النظر فيهما ، والاكتفاء
بتفسير مختصر ، ثم تفسير ابن كثير يكرره حتى يعيه
ويهضمه .

■ ثم يتدرجُ شيئاً فشيئاً ، حتى يُلمَّ بخلافات التفسير ، ويتم
الكتب الستة في مختصراتها .

وإذا طلبتَ العلمَ فاعلم أنه ** * حِمْلٌ فَأَبْصِرْ أَيَّ شَيْءٍ تَحْمِلُ
وإذا علمتَ بأنه متفاضلٌ ** * فاشغل فؤادك بالذي هو أفضلُ

■ وليست الحكمةُ البدءَ بالمطولات، أو الاشتغال بالآلات،

حتى يفنى الزمان، وهو لا يزال في ضبط تلك المقدمات .

■ ومن الأخطاء في الطلب: العكوف زماناً طويلاً على قواعد

الأصول أو الفقه أو الحديث أو العقائد، وتُهملُ جواهرُ هذه

العلوم، أو قد يجهل مقدماتها، ولا يبالي برغم ذهاب العمر،

واتساع العلم .

■ قال الإمام الذهبي رحمه الله في تذكرة الحفاظ: " فرحمَ اللهُ

امرءاً أقبلَ على شأنه، وقصّر من لسانه، وأقبل على تلاوة

قرآنه، وبكى على زمانه، وأدمنَ النظر في الصحيحين، وعبَدَ

اللهَ قبل أن يَبغته الأجلُ". وقال أيضاً في السّير: " فعليك يا

أخي بتدبرِ كتاب الله ، وبإدمان النظر في الصحيحين ، وسنن

النسائي ، ورياض النواوي ، وأذكاره ، تفلح وتنجح "

■ ففي هاتين العبارتين يلخُصُّ لنا الإمامُ الذهبي رحمه الله

بعضَ محاسنِ العلم، ومهماتِ الطلب، وخلاصة استثمار

الزمن، قبل الأشغال والأتعاب والمنايا...!

■ فقد قلَّلَ الكتب، وجاء بزبدتها، التي تكمنُ في القرآن

وتدبره ، ثم الصحيحين وفقه معانيهما عموماً، وسنن

النسائي ، ورياض النوري وأذكاره .

■ فالقرآنُ عمادُ الدين والعلوم، ومفتاح العقائد والأحكام ،

وموعظة المؤمنين والخلائق ، وبابُ الهداية والرشاد ...

والغفلة عنه مَقْتَلَةٌ، واضمحلال علمك، وتدهور صحتك .

■ والصحيحان قطب الإسلام بعد الكتاب العزيز، وفيهما
جلُّ معاني التوحيد والأحكام، وضبطهما ضبط لأصول العلم
في غالبه، ولم يتبق إلا النزر اليسير..! ويكمل نقصها ببعض
السنن كالنسائي وأبي داود رحم الله الجميع .

■ ولم ينسَ رحمه الله أن يشير إلى كتاب جامع، ورياض زكية
ندية، تكمن في "رياض الصالحين والأذكار النووية".
والتنبه عليهما يعني ضبط أصول الأخلاق الإسلامية،
والمعاني الإيمانية وازدادها من المنهيات، وتزكية قلبية
للروح من خلاله، وعبر أذكار النووي، التي تعد كالحصن
الحصين، والموئل الأمين.

■ فهنا يُصنَعُ مكتبة أو خزانة مصغرة: عمادها القرآن وبعض
مختصراته، والصحيحان، والرياض والأذكار، وسنن أبي

داود أو النسائي ..! والمكث عليهما اطلاعا وتكرارا ،
وتحفظاً وضبطاً ، وتعليقاً وتحشيةً ..!

■ ثم انظر لحالك أثناءها وبعدها ، من حفظِ اللسان ، والإقبال
عليها بكلية، والغوص في معانيها .. وتأمل شأنك بعد خمس
سنين أو عشر ، كيف انتهى علمك، وإلى أين صار عقلك
وقلبك...!؟!

■ والشرطُ للنجاح : المواظبة والإدمان ، وكف اللسان
والإقبال ، ولا بأس من اتخاذ أعوان للمساعدة والمراجعة إذا
احتيج إليهم، كما نبه عليه في مقالات سابقة، والله الموفق
والهادي إلى سواء السبيل .

١٤ / ٣ / ١٤٤٢ هـ

١٣ الاستكثار العلمي والثمرة المرجوة..!

■ تتسع العلوم اتساعًا بالغًا ، وتكثر مصنفاتها وأسبابها ومفاتيحها ، وقد تقلُّ بركتنا معها، بسبب الرخص وراءها ، يمنةً ويسرة...! وكثيرون هم الطلاب المولعون بجمع الكتب، أو الإكثار من الاطلاع بلا تركيز، أو التشديق بالعلم دائمًا ، ولكن قد تفوتهم مقاصد العلم الحقيقي ، وإبريزه الخالص ..!

■ قال الإمام الذهبي رحمه الله : " إِنَّ الْعِلْمَ لَيْسَ بِكَثْرَةِ الرَّوَايَةِ ، ولكنه نورٌ يقذفه الله في القلب ، وشرطه الاتباع ، والفرار من الهوى والابتداع " .

■ فاحذر الاستكثار بلا اتعاض، والامتلاء بلا انتفاع، والتجميع بلا ضبط، والادخار بلا ادكار، والتوسع بلا تورع...! فكم من مستكثر كتباً أو اطلاعا، وهو قليلُ العمل، شحيحُ الاعتبار، والعلم عبرةٌ وعمل، وخشيةٌ وتواضع، وأمانةٌ واستعداد...!
(إِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرَوْا سُجَّدًا وَبُكِيًّا) سورة مريم .

■ والنور المقذوفُ في القلب سببه : ذكرٌ يومي، وإخلاصٌ متعاهد، وتلاوةٌ راسخة، وتدبرٌ محفوظ، وعملٌ واقتداء، وبذلٌ وسخاء، تنتهي بالإيمان واليقين، والحبُّ والصفاء، والرغبة والرغبة، وحفظٌ للجوارح والزمان .

■ ومن أسبابه : حسنُ الاتباع ، والمسارة في الخيرات قرآنا
وسنةً وطريقاً ، واقتفاء السنن، ومحبة رسول الله عليه الصلاة
والسلام ، وتعظيم سنته وقوله وهديه (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي
رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) سورة الأحزاب .

■ ومن شرط ذلك أيضا: التباعد عن الهوى وهو الميل
والشهوة ، وهي من منافيات العلم وطلبه ، لأن حضورها
تبيدُ للعلم ، وبيع جواهره، والاشترء بالعلم ثمناً قليلاً ،
وغوص في الدنيا، وافتتان بزيتها (وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) سورة ص .

■ ومن شرطه أيضاً: هجر الابتداع ، والحدُّ من التخريف
والتبديل (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو ردّ) كما

صَحَّتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ . فَالِدِينِ مَكْمَلٌ ، وَالشَّرِيعَةُ تَامَةٌ ،
وَالزِّيَادَةُ بَدْعَةٌ وَسَفَهٌ وَافْتِنَاتٌ .. (لَا تَقْدَمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ) سُورَةُ الْحَجَرَاتِ . نُقِلَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَعْنَاهُ : لَا
تَقُولُوا خِلَافَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ . وَعَنْهُ أَيْضًا : نَهَى أَنْ يَتَكَلَّمُوا
بَيْنَ يَدَيِ كَلَامِهِ . وَقَالَ مُجَاهِدٌ : لَا تَفْتَاتُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِشَيْءٍ ، حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ عَلَى لِسَانِهِ .
وَقَالَ الضَّحَّاكُ : لَا تَقْضُوا أَمْرًا دُونَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مِنْ شَرَائِعِ
دِينِكُمْ .

■ فَاجْعَلِ يَا طَالِبَ الْعِلْمِ ، اسْتِكْثَارَكَ مِنَ الْكُتُبِ سَبَبًا فِي الْخَيْرِ
وَالانضِبَاطِ وَطَلْبِ الْبُرْكَاتِ الْعِلْمِيَّةِ ، الْقَائِمَةِ .

■ والثمرَةُ المرجوة : نورٌ يقذفُ في القلب، وجوارحٌ سالحة،

واتباعٌ حسن، وسننٌ ظاهرة، وتجنبٌ للآفات، وإخلاصٌ في

تلك العلوم.. والسلام...!

٧ / ٢ / ١٤٤٢ هـ

٤/ الأدب والتعبد قبل الطلب...!

■ لا يرتابُ مؤمنٌ في أهميتهما قبل العلم وحمله ، ونشره
وتبليغه، إذ لا يصلحُ علمٌ بلا أدب ، ولا يطيبُ فقهٌ بلا ورع
وعبادة ، قال سفيان الثوري (١٦٢) هـ رحمه الله: (كانوا لا
يُخرجون أبناءهم لطلب العلم ، حتى يتأدبوا ويتعبدوا
عشرين سنة).

■ تخيل .. عشرون سنةً من التأسيس الأدبي والعبادي، حتى
يلجُ ميادين العلم ، والطاقة متينة، والهمة عالية، والروح
مصقولة ، ولديه من الزاد والعتاد ما يعينه ويكفيه، ويثبته
ويثريه.!

■ وأياً كانت المدة المطروحة للتأديب والتزكية، فهي مقدمةٌ ضرورية، وإسناد متين، من شأنه حفظ الطالب، وصيانة علمه، وتثبيته في الملمات .

■ ولذلك من الضروري لواقعنا المعاصر تربيةً طلابنا وأبنائنا على الأدب العلمي، والورع الإيماني، الذي يصون العلم، ويضبط السلوك...! ومن الخطأ اعتقاد كفاية العلوم بدون آداب، واستغناء الحذقِ المعرفي عن أصول الأخلاق، ورهبانية الروح، قال تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) سورة الشمس .

■ ولذلك شاع واستقر هذا المسلك عند السلف رحمهم الله، وقال عبدالله بن المبارك (١٨١) هـ رحمه الله: (طلبتُ

الأدب ثلاثين سنة ، وطلبت العلم عشرين سنة ، وكانوا يطلبون الأدب قبل العلم).. وقال أيضاً (كاد الأدب يكون ثلثي العلم).

■ وفي تقديمه على العلم تحصين للنفس ، وتدريب للجوارح ، وتوطئة للعلم ، بحيث يكون العلم المحفوظ في قالب الأدب ومحاسن الأخلاق الميمونة ، قال تعالى : (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) سورة القلم .

■ وإذا ترسخ في الطالب الخلق العظيم ، والعبادة الزكية ، عرف مقدار العلم، وتصبرَ عليه، وتخلق بأخلاق حملته، وداوم عليه ، وأدى حقوقه .

■ والطاعة مفتاح مغاليق العلوم، ونافذة الفهوم، وهما

كالجنّاحين للطالب، يرفعانه ويحملانه، ويصونانه

ويحفظانه...!

■ وافتتاحُ العلم بهما لا يعني مغادرتهما بعد ذلك... كلا..

بل يَبْقِيانِ ويستمران في الحياة العلمية، فلا غنى للتلميذ

عنهما، ويلزمانه ما بقي في العلم مراعيًا حرمة، و متمسكا

بحليته، قال موسى عليه السلام للخضر، وهو في نبوته

ومجده (هل أتبعك على أن تعلمن منا علمت رُشدا) سورة

الكهف .

■ فهما طاقةٌ استعدادية للبدء والانشراح ، وطاقةٌ مرحلية

للفتح والمواصلة ، وطاقةٌ بعدية لاستكمال مشوار العلم

وتبليغه والمضي فيه ، وتصريفه في الناس .

■ والأبُّ والشيخ يستكملان عملية العبادة والأدب،

ويلاحظانها مع التدريس والتربية، ولا يبرحان نصحاءً وتذكيرا

بما يظهر لهم، وذلك من ثمرات العلم السامية، ومن نتاج

الخير الوارف، ومن مقتضيات التدريس الحاني .

١٤٣٥ / ٦ / ٢٢ هـ

٥ / مقاصدُ التعليم والدعوة... !

- تتفاوتُ مقاصدُ الشيوخ والعلماء من تعليم الناس، وقد تطرأ عليهم مقاصدُ دنيوية تُفسدُ المسار، وتعكّرُ التوجه، ولذلك لخصها بعضهم، ونبه على معاليها..
- قال العلامةُ بدرُ الدين بن جماعة (٧٣٣هـ) رحمه الله :
(يجب أن يقصدَ المعلمُ بتعليم طلبته وتهذيبهم، وجهَ الله تعالى، نشر العلم، وإحياء الشرع، ودوام ظهور الحق وخمول الباطل، واغتنام ثوابهم وثواب من ينتهي إليه علمه، وبركة دعائهم له وترحمهم عليه، ودخوله في سلسلة العلم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم، وعداده في جملة

مبلغني وحي الله وأحكامه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن الله تعالى وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها يصلون على معلم الناس الخير "

■ **فأولاً: يتبغي به وجه الله :** بحيث يكون مخلصاً راغباً ما عند الله ، مترفعاً عن أدناس الدنيا ولوثاتها .

■ **ثانياً: نشر العلم:** بحيث يسود الخير ويعم النور، وتصلح أحوال الناس وأخلاقهم وتعاملاتهم .

■ **ثالثاً: إحياء الشرع :** لئلا تندرس أحكامه ، أو تغيب تعاليمه ، أو تختفي طرائقه .

■ **رابعاً: دوام ظهور الحق :** بالدليل الواضح ، والبرهان القاطع، والنصائح الطيبة، والدروس النافعة .

- **خامسًا: خمولُ الباطل:** بفضل ما يُبثُّ من علم، وردّ الضلال، وكشف انحرافه، وردع الهوى .
- **سادسًا: اغتنامُ الثواب:** وما أعدّه الله لعباده العلماء والمصلحين، الناصحين بشرعه، والمبلغين رسالاته .
- **سابعًا: بركةُ دعاءِ الناس وثناءاتهم،** بسبب ما لقوه من خير، وانتفعوا به من دعوة ورشاد، وذلك من القبول العام الذي يثمرُ دعاءً ورحمات، يجدها العالم في حياته ورزقه وولده .
- **ثامنًا: دخوله في سلسلة الإسناد:** والمبلغين العلم عن الله ورسوله، وهذا شرف كبير، يُذكر بالرحمة والثناء عبر الأزمان والأجيال، فقد ارتبط اسمه برجال الرواية، وأعلام

النقلة ، الذين تلهجُ الألسنة بذكرهم والترحم عليهم، وما
ورثوه من علمٍ نافع ، وغرسٍ حسن .

■ وهذا أنبلُ ما ينبغي أن يستحضره الشيخ والعالم أثناء
التدريس والبلاغ ، وليحرص على تجنب أضرارها من
تلوث النية ، من حبِّ الدنيا، وطلب الرئاسة ، وابتغاء الشهرة
والظهور الإعلامي والاجتماعي، ومديح الخلائق ، وجمع
المال والمنعة، والترفع على الأقران ، والله المستعان . حفظ
اللهُ علماءنا ، وبلغنا الله وإياكم مقاصدَ العلم النافع والعمل
الصالح .

١٩ / ٤ / ١٤٣٧ هـ

٦ / طالب العلم المتجدد...!

- لا تجعل يومك كالأمس ، وحاول أن تتجددَ فيه، وتضيفَ على الخير السابق، وأن تدفع الملل والكسل ، فلا راحة لجاد، ولا نومَ لمثابر، ولا استسهالَ عند مجتهدٍ طموح...!
- قال الإمامُ إبراهيمُ الحربي رحمه الله (٢٨٥هـ) : (لقد صحبتُ أحمدَ بن حنبلٍ عشرين سنة : صيفاً وشتاءً، حراً وبرداً، ليلاً ونهاراً ، فما لقيته لِقَاءَ في يومٍ إلا هو زائد عليه بالأمس).
- ومرادهُ محافظةُ الإمامِ على خيره، واستزادته ، وتجدده كل يوم علماً، ونوراً ، ودعوةً وإصلاحاً ، وسبقاً وفلاحاً .

■ وهذا يعودُ إلى فهمه حقيقةَ الحياة والتدين ، ومرمى العلم والتفقه ، وتوحيه أسباب الثبات والعمل ، وأن المؤمن الصالح في سراعٍ مع الحياة ذكرا وعلما واستثمارًا.

■ فالعلمُ لا يُشبعُ منه، وكل يوم تشعرُ بالحاجة إليه (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) سورة طه .

■ والعبادةُ هي الطاقةُ الروحية المعينةُ على العلم، والحاجة إليها ماسة ، والعناية بها تجديدٌ للروح، وحفزٌ للهمة ، وإنبات للسعادة .

■ والأصلُ في ذلك تقوى الله على كل حال، والصلواتُ في أوقاتها ، والفجرُ في طلعتها ونداوتها ، وورد القرآن الثابت،

والقراءات المعتادة ، والدروس المرتبة، وقيام الليل الموطئ

لذلك كله...!

■ **وطالبُ العلم له اطلاعه المعهود ، ومحفوظاته المشهورة،**

ومتابعاته العلمية ، التي تجددُ نشاطه، وتوسعُ عقله، وتشرحُ

صدره .

■ **والإحسانُ في العلم: تبليغ وتدريس، ورحمة وترفق، وإفادة**

وتربية ، وإصلاح وقضاء حاجة للسائلين والجاهلين .. ومثل

ذلك مما يحيي القلب، ويشحذ الهمة، ويضاعف الثواب،

واللهُ الموفق.

■ **ولكيلا يَمَلَّ الطالب، عليه تنويع الاطلاع ، والمبادرة في**

العمل ، وحُسن الاقتداء ، والبدء في الدرس والموعظة ،

وتطبيق العلم على الذات ومن حوله ، وتعظيم العلم، وعدم
التلاعب به ، وسؤال الله التوفيق والتسديد ، وفي الحديث :
(اللهم اهديني وسددني) . وفقنا الله جميعاً لما يحبه ويرضاه .

١٦ / ١ / ١٤٣٨ هـ

٧ / هبة العلم وجلالته..!

- إذا استغرق العلمُ من أهله أورثهم الخشية والرقّة والمهابة، وجعلهم أبرارا مباركين ، يتعظون به ، وينتفعون بروائعه ، يقول الإمام مالك رحمه الله : (رأيتُ أيوبَ السَّخْتِيَانِيَّ بِمَكَّةَ حَجَّتَيْنِ ، فَمَا كَتَبْتُ عَنْهُ ، ... وَرَأَيْتَهُ فِي الثَّلَاثَةِ قَاعِدًا فِي فَنَاءِ زَمْرَمَ ، فَكَانَ إِذَا ذُكِرَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهُ يَبْكِي حَتَّى أَرْحَمَهُ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ كَتَبْتُ عَنْهُ) .
- وهنا دروس: أولاهـا: تشدّد مالك رحمه الله، في اختبار الشيوخ واختيارهم ، وكأنه يريد من يخضبُ ذلك العلم بدمعٍ صادق ، وعين رقاقة ، وقلب وجيب..!

■ **وثانيها:** جلاله الجليل السابق عند ذكر الحديث النبوي وأخبار رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وتأثرهم العميق بسيرته ، وشوقهم إلى رؤياه. وكل من عاش السيرة والحديث، وتعمق فيها، إلا خلدت فيه تلك الرقة ، وكلما أجدها الجرحُ والتعديل، أعادتها المرويات الحسان، والسنن العذاب..!

■ **ثالثها:** لا بدَّ للعلم من أثرٍ، ولا بد له من رونقٍ وحلاوة، ومعانٍ تشق الوجدان ، وإذا تأخر ذاك الأثر ، فليراجع المرء نفسه ، وليتعاهد قلبه، فانعدام الرقة والبكاء علامة قسوة وشقاء ، والله المستعان .

■ **رابعاً:** إن للعلم عندهم جلالته، ومن جلالته خلطه بالعبادة، وجعلها أساساً في فهمه وتبليغه وجمعه كما تقدم . فهي شكلٌ من خلطته وصبغته، ولذلك كانت لهم أوراد وأذكار يقيمونها،

■ **خامساً:** إن الناس نقادٌ بصراء، يرون من العالم ما يجذبهم أو ما ينفرهم، والسلف قبلنا رواد في العبادة والبناء الذاتي الروحي ..!

■ **فقيامٌ لليل محفوظ وصلاة مستدامة، وقرآن متلو ومتدبر على كل الأحوال، وخشوع يكاد يهد جسمهم ..!**

■ **وفي العلم بلاغٌ وخشية، ومراقبة واستعفاف .. وعن موسى بن إسماعيل رحمه الله قال: (لو قلت لكم إنني ما رأيت حماد**

بن سلمة ضاحكًا قط صدقتكم، كان مشغولًا بنفسه: إما أن يُحدِّث، وإما أن يقرأ، وإما أن يُسبح، وإما أن يصلي، كان قد قسم النهار على هذه الأعمال).

■ وكانت ابنة الربيع بن خثيم رحمه الله، تقول له: "يا أبت مالي أرى الناس ينامون وأنت لا تنام؟"، فيقول: "يا ابتاه، إن أباك يخاف البيات"، وعن إبراهيم قال: (قال فلان: ما أرى الربيع بن خثيم تكلم بكلام منذ عشرين سنة إلا بكلمة تصعدُ)، وعن بعضهم قال: "صحبت الربيع عشرين عامًا ما سمعتُ منه كلمة تُعاب".

■ عن سعيد بن أبي الحسن البصري قال: قدِمَ ابن عمر مكة، فسألوه. فقال: تجمعون لي المسائل؛ وفيكم عطاء بن أبي

رباح... وقال ابن جريج رحمه الله: " كان المسجد فراش

عطاء عشرين سنة، وكان من أحسن الناس صلاة".

■ وقال ثابت - رحمه الله - : "كابدت الصلاة عشرين سنة،

وتنعمت بها عشرين سنة". وقال شعبة رحمه الله : كان

ثابت البناني يقرأ القرآن في كل يوم وليلة، ويصوم الدهر.

وقال حماد بن زيد: رأيت ثابتاً يبكي حتى تختلف أضلاعه.

وقال جعفر بن سليمان رحمه الله : بكى ثابت حتى كادت

عينه تذهب، فنهاه الكحال عن البكاء، فقال: فما خيرهما إذا

لم يبكيا؟! وأبى أن يعالج. وقال حماد بن سلمة: قرأ ثابت:

{ أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّأَكَ

رَجُلًا } سورة الكهف: ٣٧. وهو يصلي صلاة الليل ينتحب

ويرددها.

■ وعن فاطمة بنت عبد الملك زوج أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله قالت: "ما رأيت أحداً أكثر صلاة ولا صياماً منه، ولا أحداً أشد فرقا من ربه منه، كان يصلي العشاء، ثم يجلس يبكي حتى تغلبه عيناه، ثم يتبته، فلا يزال يبكي حتى تغلبه عيناه، ولقد كان يكون معي في الفراش فيذكر الشيء من أمير الآخرة، فينتفض كما ينتفض العصفور من الماء، ويجلس يبكي، فأطرح عليه اللحاف".

■ وأخبار الأئمة والأسلاف في العبادة وتخضيب العلم بها شيءٌ يفوق الوصف .. فخذ يا طالب العلم حظه من ذلك، وتعلم من الأعلام دينهم ورقتهم وصلاحهم، والله الموفق والمعين .

٨ / مبادرة العلم بالعمل ..!

- متى نصلُ إلى مرحلة المسارعة بالعمل حينَ ورود النص، وبلوغ العلم، وانتشار الخير .. ولا نتورط في عراقيل التأجيل والتسويف والارتقاب..!
- وهنا "عبارة جليلة" ، اشتهرت عن إمام أهل السنة أحمد بن حنبل قوله: " ما بلغني حديثٌ إلا عملتُ به، وما عملتُ به إلا حفظته " .
- بمجرد ورود السنة والحديث لدى الطالب الصادق يبادر بلا تردد وهو يستطيع، ويحتسب ويتلذذ بذلك، لانه يتدين

لله، ويقتني رسول الله ، ويحي سنته.. وكم في ذلك من خير

منشور ، وغرس مبرور ، وعز مذكور...!

■ ثم إنَّ في العمل به حفظاً له، وصيانة من التفلت ،

فيكتسب أجراً، ويضبط سنةً، حيث يطبقه، ثم يراجعه

ويكرره، حتى يدوم ، وينأى عن الضياع والنسيان .

■ وهذه العبارة شبيهةٌ بالمروية عن علي رضي الله عنه :

(هتفَ العلمُ بالعمل، فان أجابه وإلا ارتحل) ، بل قد تكون

أخص منها، لأنها تحاكم طالبَ العلم المستمع للحديث

مباشرةً ، أو نُقل له من وجه صحيح، فقامت الحجة، وتمت

المحجة..!

■ وفيها بيانُ حرصِ الإمامِ أحمدٍ رحمه اللهُ ، على السننِ وحبهِ لها، ومسارعتِهِ في اتباعها، وهو ما يفتقده كثيرٌ منا هذه الأيام...! بل قد تجد حفظةً مهرةً في العلم، ولكنهم مقصرون في العمل، متكاسلون في الاتباع ، ولا يبالي بعضهم بسوء التقصير، أو هوانِ الهمةِ ، والله المستعان .

ومما يساعد على البدار إلى العمل وعدم التسويف:

■ **أولاً:** تعظيمُ الشرعِ والسننِ: واستشعارُ أنها مؤثرة فاعلة في قوة الإيمان واحتياجنا إلى ذلك.

■ **ثانياً:** محبةُ رسولِ الله والسُرورِ بسنته وهديه، واعتقاد فضلها

وحين عاقبتها (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)

سورة الأحزاب .

■ **ثالثاً:** طلبُ الأجر، واعتقاد نقصانك بفقدان تكمُّ السنن والآداب والأحكام.

■ **رابعاً:** تفريقك بين سلوك الخواص والسلوك العامي، وأن استماع العلم حجةٌ لا ريب فيها على طلاب العلم .

■ **خامساً:** مطالعة سير الأسلاف ، وحرصهم الشديد على ذلك، وكيف كانوا أطوع لها، وأسبق إلى مبادرتها، وإيثارهم لها على كل كثير من الملاذ، كما صنع أحمد وغيره من الأئمة .

■ **سادساً:** سؤال الله تعالى الإعانة والتوفيق، ومن محاسن الأدعية هنا: (اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحُسن



عبادتك) وحسن العبادة لن يكون إلا على الوفاق الشرعي ،

والهدي السني والله الموفق .

٩/ المال العلمي..!

■ هو مالٌ مَبذولٌ على الكتب والفهم ولو ازم الطلب، وقد كان هذا ظاهرًا في حياة القُدامى يعطون العلم بسخاء، ولا يَظنون بشيء من ذلك..! بينما لحظنا فئامًا كثيرة في حياتنا يشحون بالمئات في العلوم، ويبدلونها في ملابسٍ أو مشروبات...!

■ ويعتمدون شراء المذكرات المصورة لسبيل السلام أو روضة الناظر، أو الروض المربع... وكنا نصرخ ونعظهم أن هذه الكتب مستمرة معكم، طيلة المرحلة الجامعية، فلم التصوير...!؟

■ يقول خلف بن هشام - رحمه الله -: (أشكى عليَّ بابٌ من النحو، فأنفقتُ ثمانين ألف درهم حتى حذقته)..! فمن يحاكي ذلك الإمام ، ويجود بلا تردد، ويبدل عشرات ليقطني أنفَسَ الكُتُب ..!؟!

■ ومن المؤسفِ بخل أغنياءِ شراءِ الكتبِ وانتظارِ محسنين أو جمعياتِ إهداءهم، والتفضل عليهم، بينما هم يسيحون في الأرض بآلاف الريالات ، ولا تتحرك ضمائرهم ، أو تتفطر قلوبهم ...! وهذا مسلكٌ مخل بالشخصية وتعاطيها مع العلم والمعارف ..!

■ وفي بلادنا الطيبة ، بحمد الله توزع جهاتٌ رسميةٌ تلکمُ الكتب بطبعات فاخرة، كالرابطة وبعض الجامعات ودار

الإفتاء، فيعمد لها بعض المقتدرين ، ولو تركوها لذوي
الحاجة لأفلقوا وأنجحوا...! واحتسبوا هم البذل من مالهم
على عقولهم...!

■ **ولا تريد أن تفقه أن مالها العلمي يصلح عقولها، ويحسن**
من أدائها الشرعي والاجتماعي والأخلاقي..! وأن ذلك
الكتاب سيبقى مورثاً للأهل والأبناء والسائلين...!

■ **وفي عبارته (حتى حدقته) وأبهم الوسيلة ، فهي تعم كل**
وسائل الحدق ، فليس الشراء فحسب، بل السفر لتعلمه ،
وبذل المال لفهمه، وأخذه من أهله ، وبذل المال لهم،
وتذليل كل الصعاب ..! وقد كان بعض المحدثين لا يحدث

إلا بأجرة، نظرًا لحاجته وما شاكله، فإن صح ذلك عند أهل

الحديث ، فهو صحيح عند أهل اللغة وأولى ..!

■ وفي السنة قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ أَحَقَّ مَا

أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللَّهِ). وقد قالت اللجنة الدائمة

للإفتاء: " ومعنى الحديث عند أهل العلم: أنه لا حرج في

أخذ الأجرة على تعليم القرآن للناس، ورقية المرضي به، أما

إن أخذ الأجرة على مجرد التلاوة فلا يجوز".

■ وفي وضع المال في تحصيل العلم استعمال له في هلكته

ومظانه، وإعانة للآخرين ، وصون له من الضياع، وإعلاء

شأن العلم، وأن المال أرخص منه، وترحيح كفة العلم على

لُعاعات الدنيا ، والله المستعان .

■ ومتى بذل الطالبُ ذلك بإخلاص ، فُتحت له كنوز المعرفة ،
وذُلت له قلائدُ الثواب ، وتقاطرت عليه سُحبُ السعادة
والانشراح ، والله الموفق والهادي الى سواء الصراط ...!

١٢ / ٥ / ١٤٣٠ هـ

١٠ / علامات العلم النافع...!

- ليست العبرةُ بكثرة المقروء ولا المحفوظ ولا المجموع، إنما العبرةُ بالمعمول به، المتفعل في النفس والمجتمع.
- قال الإمام الشافعيُّ رحمه الله تعالى: (لَيْسَ الْعِلْمُ مَا حُفِظَ، إِنَّمَا الْعِلْمُ مَا نَفَعَا). فكم من حفاظ مستظهرين للنصوص، وكم من رواة جماعين، ولا يُرى عليهم ذلك في خُلُقٍ ولا دين...!

■ ولذلك استعاذ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ "عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ" ..!

حيث لم يهد به صاحبه ، ولم يغير في حاله، ولا زاده ورعا

ولا فضيلة ..!

■ وسببُ ذلك والله أعلم : سوء النية من البداية، وتطلب

الحظوظ الدنيوية ، وعدم تعظيم العلم والمبادرة اليه علما

واقْتداءً. ومجادلة السفهاء به، وترك البلاغ له والنشر في

العامة، كالإعراض عن الخطابة والدعوة ، ومجالسة أرباب

الدنيا والسفه، من يُضعِفون همما، ويسقطون عزائم ، وقد

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (المرءُ على دين خليله) .

■ ولا دينَ للكسالى والمترفين إلا الهزال والضعف

والتقصير...! ومجالسهم محل التهمة ، قال عمر رضي الله

عنه: (إذا رأيت العالمَ مُحِبًّا لِلدُّنْيَا ، فَاتَهَمُوهُ عَلَى دِينِكُمْ ، فَإِنَّ

كُلَّ مُحِبٍّ يَخُوضُ فِيهَا أَحَبَّ). بينما لو اتخذ العلماء صحابا

له لكدفوا فيه الجد والعمل، وتربى على الخشية والإخلاص،

ولسارع في الطاعات، واغتنم الخيرات..!

■ فالعلمُ النافع خيرٌ لك ولو قل، فمَنْ عمل "برياض

الصالحين" وتخلَّق بأدابه، خيرٌ ممن حفظ "الكتب الستة أو

التسعة"، ولم تُر في أخلاقه وعمله..! وخيرٌ ممن جمع

"فتاوى ابن تيمية"، وشيد المكتبة الضخمة، وهو عنها تائه

مقصر...!

■ العلمُ النافع، سنَّةٌ معمولَةٌ بها، أو أمرٌ يسارع فيه، ونهي

يجتنب، وأخلاق في الذات، وتعامل محفوظ، ولسان

مصونٌ..! بحيث لو جالستَ أهله تعلمت منهم ومن
أخلاقهم...!

■ يذكرون بالسنن، ويتدرون الأحكام، ولا يخادعون في
التعامل، أو يسترخصون الشرائع، أو تغلب عليهم الأهواء،
بل كرامٌ حفظه، وأخيار بررة.. (فَأَسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ) سورة
الشورى . وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى : (مَنْ لَمْ يُؤْتَ
مِنَ الْعِلْمِ مَا يَقْمَعُهُ، فَمَا أُوتِيَ مِنْهُ لَا يَنْفَعُهُ). اللهم إنا نسألك
علمًا نافعًا، وعملاً صالحًا، إنك جوادٌ كريم .

١١ / الذكاء العلمي والذكاء الاصطناعي...!

- يترددُ هذه الأيام "مصطلحُ الذكاء الاصطناعي" ، الذي ظهرت أولى بحوثه في منتصف القرن العشرين الميلادي (١٩٥٦) م . والذي يُعرّفه بعضهم : "علم وهندسة صنع الآلات الذكية، ومحاولة جعلها تتسم بصفات النمط الإنساني ، تحليلاً واستنتاجاً . بحيث تسهم في تطوير العلوم وخدمة الإنسان، وتخفيف أعباء الحياة، وزيادة نموها .
- ولا يمكنُ لكائنٍ من كان ، أن ينكرَ التطورَ الحاسوبي المتوهج في هذه الأعصار ، وبدوّ أجهزة وبرامج عكست مدى التطور التقني في هذا الباب... ولكن تبقى إشكالاتٌ ..

ثبت من حين لآخر، أن القدراتِ العقلية البشرية لا تزال في أوج الإبداع النادر والمعجز، وكما قال تبارك وتعالى : (وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) سورة الذاريات . وأن ما يجمعه العقل البشري من معجزات خارقة ، لا تزال تقصر التقنية الحديثة عنه..!

■ وفي النطاقِ العلمي الشرعي ، والعلمي عموماً ، نحتاجُ إلى (ذكاء علمي نشط) ، ومتوهج ، يمارسه القارئ والباحثُ ، بحيث يستطيعُ من خلاله التهامَ العلوم، واختصار معلوماتها، وتقريبَ مطولاتها، وتهوينَ شدايدها .

■ وقال الحافظُ عثمان بن خرزاد رحمه الله تعالى : " يحتاج صاحب الحديث إلى خمس، فإن عُدت واحدة؛ فهي

نقص، يحتاج إلى عقلٍ جيد، ودين، وضبط، وحقاقة بالصناعة، مع أمانة تعرف منه". والعقل الجيد يقصد له الذكاء والفطنة، ونقصد داخل ذلك الذكاء فطنةً خطافة، ونباهة وقادة في الطلب والاجتلاب.

- **فعلى سبيل المثال:** تجاوزُ طريقة التعلم التقليدية البطيئة، والتي تؤخر بعض العلوم أو مراحلها أو جرد مطولات بالإمكان، اختصارها، والانتقال إلى ما هو أولى منها...!
- **فطلابُ العلم، ولمسابقة الزمن يحتاجون إلى ذكاءات علمية تقفز بهم قفزا سريعا - غير مخللة - تجعلهم يستثمرون الفرص، ويوازنون الحالة العمرية، ويتدرون أشغالهم التي تستغرق حياتهم، ومن تلك الوسائل:**

■ **أولاً:** الاستثمارُ التقني الفعّال : للموسوعات المدخلة ،
والمصنفات المُذهلة، والبحث الدقيق، والاستنتاجات
الرائعة ، واتخاذها في القراءة والبحث والجمع، والترتيب
والمقارنة .

■ **ثانياً:** الضبطُ المبدئي : للمتون المرشحة ، والتي تكون
ذات عمق وتميز في المذهب المراد .

■ **ثالثاً:** العنايةُ بكتب محققي المذاهب : والذين عُرفوا
بالدليل وحسن النقد ، وتمحيص المسائل وتنقيحها ،
كالغزالي والنووي وابن الهمام وابن تيمية وابن القيم وابن
حجر وأشباههم .

■ رابعًا: تلخيصُ الكتب المهمة: والتي تعجُّ بعلم غزير،
وفوائد عزيزة، واختيارات متفردة، وجمل ذات قيمة
واعتبار.

■ خامسًا: فهرسةُ كتبِ العظماء : الذين تميزوا علمًا ودقةً
وتحقيقًا، بحيث تعرف مظان علومهم واختياراتهم
وفوائدهم، كالذين عرفوا بكثرة التصنيفات نحو: الغزالي
والعراقي والعز وابن تيمية وابن القيم والنووي والعيني،
وابن كثير وابن رجب والسيوطي وأشباهم، رحم الله
الجميع .

- سادسًا: انتخابُ فوائد المطولات : ككتب التواريخ والتراجم والتفاسير ، والمغازي، وما شابهها من الموسوعات الحديثية والفقهية والأصولية.
- سابعًا: التحقيقاتُ العصرية والرسائل العلمية المدققة : والتي تميزت وتُلقيت بالقبول، وذاع حسنُها في الناس بشهادة المناقشين أو العلماء المطلعين .
- ثامنًا : ملاحقةُ كتب المحققين المَهرة ، من المعاصرين ، والتقاط نتائج مطالعاتهم الواسعة كالمعلمي وابني شاكر وشوقي ضيف وهارون، والألباني وأبي غدة وبكر أبو زيد، وابن عثيمين رحم الله الجميع .

■ **تاسعاً: عدم تبديد الساعات في مطولات ، يمكن معرفة**

جوهرها من كتب أخرى ومستخلصات مشهورة ، أو

المكث في متوسط الطول سنوات عددًا ، فلا هو أتمه ، ولا

هو تأهل في شيءٍ آخر...!

■ **عاشراً: العيشُ مع كتب مجموعة، فيها غالب المطلوب**

والمحمود ، وعدم الشتات والتذبذب المعرفي .

■ **حادي عشر : الظفرُ بأذكياء العلماء الذين لديهم**

خلاصات الكتب، ومفاهيم المعرفة، ودلائل الكنوز ،

ومفاتيح العجائب ، يقول النووي رحمه الله: (ومذاكرةُ

حاذقٍ في الفن ساعةً، أنفع من المطالعة والحفظ ساعات، بل

أياماً). فإذا سمعتَ بعضهم لا سيما في بلادنا المملكة

حفظها الله، وهي تستقبل في الجامعات أو في الحرمين -
موسم الحج - أعلاما في أزمنة مختلفة فاحرص على
مقابلتهم ، والانتفاع بما لديهم .

١٤٤١ / ١ / ٢٥ هـ

١٢ / المتجاسرون على الفتيا ... !

■ من مفاتن العلم الأولية ، وتستهيوي المبتدئ أن يقصده
الناس للفتيا والحاجة العلمية والاجتماعية، فيظن أنه قد بلغ
مبلغاً حسناً.. وهو لا يزال في أول الطريق ..! فالناس كل من
رأوه صار إماماً أو خطيباً أو مقرئاً ، ظنوا علميته وتمكنه ...!
وهذا خطأ..!

■ ولذلك يغترُّ بعضهم ويتطلب مفتياً ومعلقاً ، حتى يزل الزلّة
الشنعاء ، مالم يتراجع ويستغفر ويتأهل ..! وقال سحنون بن
سعيد المالكي رحمه الله (٢٤٠) هـ رحمه الله : (أجسرُ الناس

على الفتيا، أقلهم علما ، يكون عند الرجل الباب الواحد من
العلم ، يظن أن الحق كله فيه) .

■ فالمهارةُ بالقرآن وحُسن الصوت ليست رتبةً فقهيةً، وحفظ
السنن ليس إماما بمعانيها ، وضبط منظومة أصولية ، ليست
دليلاً على التمكن العلمي...! لكنها خطوات ومفاتيح في
الطلب، تستدعي ما بعدها...

■ لذلك ليحذر الطلاب من الفتيا دائماً ، والتوقيع على الله
بغير علم، أو الاستشراف لها وهم في بدايات الطلب ،
وعديمو الأهلية..! قال عبد الرحمن ابن أبي ليلي : " أدركت
عشرين و مائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في

المسجد ، فما كان منهم محدث إلا ود أن أخاه كفاه الحديث ،
ولا مفت إلا ود أن أخاه كفاه الفتيا " .

■ قال العلامةُ ابن القيم رحمه الله : " وكان السلف من الصحابة والتابعين يكرهون التسرع في الفتوى ، ويود كل واحد منهم أن يكفيه إياها غيره ، فإذا رأى أنها قد تعينت عليه ، بذل اجتهاده في معرفة حكمها من الكتاب والسنة أو قول الخلفاء الراشدين ثم أفتى " .

■ والتجاسرُ عليها دون تأهل يعني : الزلل والجهل ، والاعتزاز والمفاخرة ، والفتنة والعبث ، وجذب الناس والورطة ، والإساءة والعنت ، والإثم والجُنَاح ..! وجلها موانع من المواصلة واستدامة العلم ، لأن صاحبها يعتقد

صحة مسلكه فيفرط في ذلك، ويعتقد حلاوة العلم بها ، وأن

العلم فتوى وجواب ، وحل وامتنان...!

■ ولا يزال في أغوار هذا المزلق حتى يسقط أو يستيقظ ،

فتدركه رحمةُ الله، فيتوب وينزجر ، والله يحب التوابين

ويحب المتطهرين ..!

■ وهؤلاء الأئمة لنا فيهم قدوة وامثال ، قال الإمام أبو داود

رحمه الله في مسأله : " ما أحصي ما سمعتُ أحمد سئل عن

كثير مما فيه الاختلاف في العلم فيقول : لا أدري " .

■ وكان شعار هؤلاء الربانيين (لا أدري) بكل ثقةٍ وشجاعة ،

وقد قال ابن عباس وغيره رضي الله عنهم : (إذا ترك العالمُ لا

أدري أُصِيبَ مقاتِلُهُ) .. وقد نظم العلامة ابن دُرَيْد هذا

المعنى شعراً فقال: ومن كان يهوى أن يُرى متصدراً...
ويكره «لا أدري» أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ.. ومعنى المَقَاتِلِ : أي
المواضع التي إذا أُصِيبَتْ قَتَلْتَهُ..! اللهم علمنا ما ينفعنا
وانفعنا بما علمتنا ، إنك سميع مجيب .

١٧ / ٣ / ١٤٣٥ هـ

١٣ / الصبغة العلمية للمسلم ..!

■ الدخولُ إلى حدائقِ العلمِ يعني التغيّرَ والانتفاعَ بروائعها

وجمالياتها وأفانينها، ومن ذلك الشكل والصوت والعمل

والسلوك، قال الحسنُ البصري رحمه الله: (كان الرجلُ

يطلبُ العلمَ، فلا يلبثُ إلا يسيراً حتى يُرى أثرُ العلمِ، في

صلاته وخشوعه وكلامه وسَمْتَه) ..

■ والمعنى أنه يُصبغ صبغةً علميةً، ويكون له مسحة ووقار،

وشعار وآثار، يقبُحُ به أن يخرقها أو يبددها...!

■ وكان في العلم أمورًا وأحوالًا تحملُ طالبه على التفاعل

الطيب، والمسلك الحسن، فيتهذب ويتطور، ويرتقي دينًا

وخلقًا...!

■ وهنا متغيراتٌ جميلةٌ في حياة الطالب، وما ذلك إلا بسبب

قوة العلم وثقله، والهيئة التي ينزلُ بها على صاحبه، فهو نصٌّ

وهدي، وطريقةٌ وسنة، وخشيةٌ ومحاسبة، ووعدٌ ووعيد،

وخوفٌ وتهديد...!

■ فأول المتغيرات: الصلاة، تنشع عنه صلاةُ العامة،

المستعجلة، المنقورة، ويضبط السنن، ويحفظ الأدعية،

ويقنت فيها القنوت الطويل، واللهج المستديم (صلوا كما

رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي). مستشعرا وقوفه بين يدي الله، وراغباً ما
عنده من ثواب وكرامة .

■ ويتغيرُ خشوعُهُ، فيبيت ذا وقارٍ وخشوع ، مهذبٌ لطيفٌ،
يقف عند الآياتِ ، ويتعظُّ بالأحاديث ، ويصغي إلى
المواعظ، ويرقُّ لها الرقة الحقيقية ... (وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ)
سورة الأنبياء .

■ ويتغيرُ في كلامه : حيث يُصانُ اللسان، ويُحفظُ المنطق،
وتقلُّ الهفوات ، ولا يُطيلُ العنان في الآفات ، يكتفي بذنوبه،
ويلهج بذكر ربه وتعظيمه ، ولا يجعل من العلم مطيةً للنقد
والاعتراض والتعقبات الفجة والمستشنة كما يصنع بعضُ
الولعين بها...!

■ ويتغيرُ في سمته: وهو الهدى والطريقة، فيرى فيها حسنُ
الاتباع ، وسطوع السنن، ومنائر القدوة، وتعظيم الشريعة ،
وفي الحديث الحسن : (السَّمْتُ الْحَسَنُ، وَالتُّؤَدَةُ، وَالِإِقْتِصَادُ
جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ). وفي صحيح
البخاري لما سئل حذيفة رضي الله عنه عن ذلك قال: " مَا
أَعْرِفُ أَحَدًا أَقْرَبَ سَمْتًا ، وَهَدْيًا، وَدَلًّا بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ مِنْ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ " . يقصد ابن مسعود رضي الله عنه،
فهنيئًا له تلك المنزلة .

١٨ / ٥ / ١٤٣٢ هـ

١٤ / تنمية العلم وتجديره في حياتنا...!

- حينما نلاحظُ عزوفَ الطلاب عن العلم الشرعي، وتخوفهم من الكتب الطويلة، والمكتبات العريضة، ..! وللأسف حتى في الكليات الشرعية، باتت المذاكرة هشة، والضيق من المجلدات ظاهرة، والولع بالمختصرات مشهورا .. فيتعين على المربين والغيارى إيجاد حلول لذلك ..!
- وأذكرُ سابقاً، كان في "الامتحانات الجامعية" تصرفُ للطلاب "كراريسُ مطولة"، والآن باتت في أوراق مختصرة، والجواب مزيل بها، ... فقراتٌ محددة، ولا شروح، ولا خلافات مفصلة...!

■ ومن هنا تعظم المسؤولية على أساتذة الكليات الشرعية ،

وأن يقوموا بحل هذه الظاهرة ، والتفكير الجدي لمناقشتها

ودراء تبعاتها . فمن الحلول :

١- تسهيل العلم : وتقريبه بالوسائل الميسورة ، والمختصرات

المحبة ابتداءً ، وتغيير لغة الخطاب من الصعبة المغرقة إلى

العصرية السهلة والمستعذبة .

٢- تجديد دور المساجد وتفعيلها: حلقات علمية، ودروسًا

مستديمة ، وقيام كل إمام مسجد بدوره الدعوي أداءً وتنسيقًا ،

وترتيا ، بحيث يُرْسَخ الجوهر العلمي وتُحَبَّب طرائقه ، وتُنشَرُ

محاسنه .

٣- تنشيطُ الرموز الدعوية : والطاقات الفاعلة من العمل ،

وأخذ زمام المبادرة بجذب الدروس وتفعيل الحلق ، عبر بوابة

الوزارة مشكورة، وفقههم الله وسددهم .

٤- تفعيلُ دورِ المؤسسات الشرعية: من كليات ومعاهد ،

وحفزها للقيام بواجب الأمانة ، من خلال أنشطة مستحدثة ،

وحوافز جاذبة، والله المستعان! وقد كان السلف لا يعرفون

هذا المنهج، أما في زماننا فهدايا مغرية ، وشهادات مشجعة حتى

يظفرَ الشيخُ بهم، واحتفالية تكريمية لهم، وتنشرها وسائل

الإعلام ولا حول ولا قوة إلا بالله..!

وباتَ العلمُ يُطرحُ بالجوائز * * وبالورقاتِ يُمنحُ والحوافزُ

٥- طباعةُ الكتبِ التراثية : المحتاج إليها بأسعارٍ ملائمة لهم ،

وحضّ المحسنين للإسهام في ذلك الباب الخيري والتنموي .

٦- تدويرُ الدروس العلمية : في الأحياء المختلفة، بحيث لا

يخلو حي من إضاءةٍ علمية، واشراقه فقهية، وموعظة إيمانية ،

ترسخ السنة، وتدحض البدعة، وتقرب المفاهيم الشرعية .

٧- دعمُ الدورات العلمية : والبرامج المنهجية داخل

المؤسسات والكليات ، حتى تبيت سمةً للمكان والمدينة ،

ويكون لها مخرجاتها المرضية والفاعلة .

٨ / إقامةُ المسابقات العلمية البحثية : التي تربي العلم، وتصلقُ

الشخصية وتنمي مهارات البحث العلمي ، وتعظم تراث

السلف وجهودهم المتينة في هذا السياق التاريخي .

٩ / تحبيبُ القراءة وفنون الاطلاع : وحثها من جديد في

نفوسهم في ظل الطغيان التقني الخاطف لهم من ملاذ القراءة

وحب البحث والإنتاجية ، والله المستعان .

١٠ / إعادة النظر في المناهج العلمية: المطروحة في

المؤسسات الشرعية ، وصياغتها صياغةً تجمع ما بين التراثية

والعصرية، بحيث تحقق قوة القديم وأصالته، وواقعية الحياة

ومشكلاتها .

١٩ / ٢ / ١٤٣٩ هـ

١٥ / عادات قرائية ...!

■ أجملُ ما تعاهد المرءُ به نفسه القراءة ، والغوص في جواهر
الاطلاع، واحتضان الكتب ، واللصوق بالأسفار ، والعكوف
على فوائدها وثمراتها ...! لاسيما وأول آية في كتابنا (اقرأُ
بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) سورة العلق . فهي قوةٌ من ضَعْفِ
عقله، أو خَارَ جسمه، وطاقةٌ من ذُبُل في الحياة ، أو يئس من
تجاريبها...، وكما قيل :

أعزَّ مكانٍ في الدنا سرجُ سابحٍ * * * وخيرُ جليسٍ في الزمانِ كتابُ ..!

■ ومن استطعمَ هذه "الخيرية" واعتقدتها، يعز عليه هجرُ
الكتاب، والتباعدُ عن القراءة ، ..! ونظرا لضعف القراءة في

المنطقة العربية، يستطلع الناس تجارب الآخرين ليقبسوا
عليها، ويقبسوا من أضرائها ، ومن تلکم التجارب الجيدة ،
الحافزة للأجيال الراغبة، والفئات المتطلعة ، والتي يمكن
بالاستدامة عليها أن تکرَسَ التعلق بالكتاب، وتنشر العادة
القراءة اليومية ، ما يلي :

١ / كتابُ الدقائق المعدودات : بأن تجعل مطالعتك في كتابٍ

محدد لمدة "عشر دقائق" مثلا ، صباحا أو عصرا أو قبل النوم
، وتتخذ من ذلك عهدا واجب الوفاء ، لا ينفك ولا يتخلف..!
وتقليلها نافع مفيد، وسيثمر قدرا جيدا من الالتزام ، حتى تبين
ورداً يومياً...! اقرأ دقائق من عُمرٍ لكم فاني...تجنِ الفوائد في
عقلٍ ووجدانٍ...!

٢ / سفرُ الوسادة : كتب توضع عند الرأس تـقلب من حينٍ

لآخر، أو تطالع منها "صفحات يومية" ، وستفاجأ بعد مدة ،

أنك قطعت شوطاً ، وشيدت قصرًا.

٣ / ساعةُ المكتبة : لمن كان يملك شيئاً منها ولو " خزانة

صغيرة " ادخلها في ساعة محددة ، قلب مراجعها ، أصلح ما

تشعث منها، نظّمها ، راجع بعض ما تحتاجه أو سئلت عنه ،

ولا تطل في هجرانها، أو التكر لها، ستعلق بها مع الممارسة

والمعاهدة .

٤ / الكتابُ المحمول : بأن يصير صاحبك على الدوام ،

ورفيقك في كل المحافل ، والآن استعاض الناس عنها

بالجوات، التي تحمل المكتبات وليس مجلداً أو

مجلدات...!

٥ / الجوال المساعد : عبر الانفجار التقني الجامع للعلوم

والمعارف ، كما تقدم، ومن خلاله تستطيع الاطلاع الأوسع ،

والحفظ الألمع، والبحث الأمتع...!

٦ / كتب الانتظار : وهي كتب محمولة سواء كانت ورقية أو

الكترونية ، ولكنها تفتح في الدوائر ، وفي طواير الانتظار وفي

المطارات وأشباهها .

٧ / الشاي العلمي : المرتبط بتصفح كتابٍ معين، أو مراجعة

مسألة ، فهو مشروب عالمي ، فاقرن محبته بالقراءة ليرتبط لذته

بلذة الكتابِ وجني الفوائد!

٨ / البدءُ بالقراءة القصصية : وكتب التسالي والعجائب

والأشعار، حتى تُحبَّ عنده الكتب ، ويستلذ الثقافات ، فيبيت

لا يغادر الفوائد والشوارد والنوادر .

٩ / مجالسةُ القراء وصحبتهم : ليستلينَ له مسارُ القراءة،

وتتلاشى صعوبته، وأن هنالك محبين وعشاقا نذروا أنفسهم

لمثل ذلك..! " والمرءُ على دين خليله " ، وقالوا: ولا

تصحب الأردى فتردَّ مع الردي...!

١٠ / صديقُ القراءة : الذي تجالسه أكثرَ الأوقات ، ارسم معه

موعدًا لقراءة كتاب، أو ملخص كتاب في أسبوع ، والوقوف

على فوائده ونتائجه، بحيث لا تتعاضم اللقاءات بلا معان

ومستخرجاتها المعرفية، ومثل ذلك يعضدُ الجانب الاطلاعي

لدى الشخص المتأمل للتغيير ، والله الموفق .

٧ / ٢ / ١٤٤١ هـ

١٦ / لا تنسَ أخلاقك في العلم..!

■ مهما حفظتَ وطالعتَ، واكتسبت من المعارف ما اكتسبت، تبقى فقيراً إلى الخلق الحسن، والأدب الجم، والتواضع الفسيح... ويؤلمني أكثر ما يؤلمني رؤية العالم المتهتك، أو الشيخ الغضوب، أو الداعية الفج... وما أروع قول شاعر النيل حافظ إبراهيم: لا تحسبنَّ العلمَ ينفعُ وحدَه ... ما لم يُتَّوَجَّ رُبُّه بخلاقٍ..!

■ ولذلك تأدبُ قبلَ التعلم، وتخلقُ قبلَ التفقه، والزمهما في الطلب وبعده .. يقول الخطيب البغدادي - رحمه الله - :
(والواجبُ أن يكونَ طلبَةُ الحديثِ أكملَ الناسِ أدباً، وأشد

الخلق تواضعاً ، وأعظمهم نزاهة وتديُّناً ، وأقلهم طيشاً
وغضباً ، لدوام قرع أسماعهم بالأخبار المشتملة على
محاسن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وآدابه ،
وسيرة السلف الأخيار من أهل بيته وأصحابه ، وطرائق
المحدثين ، ومآثر الماضين ، فيأخذوا بأجملها وأحسنها ،
ويصدفوا عن أرذلها وأدونها) .

■ وطلابُ العلم ليسوا عواماً ، يقع منهم كل شيء ، أو لا
يتخرجون من الأخطاء...! كلا.. بل هم صفوة وأعالى
الصفوة، لا سيما طلاب الحديث، والسنن التي تقرعهم كل
يوم...ومن تلكم الصفات :

- **أولاً: اكتمال الآداب :** في الذات والعلم ، ومع الشرع والآخرين ، يحيا بأدب الكتاب والسنة، ويصون نفسه من مزلق بني آدم وتجاوزاتهم .
- **ثانياً : حلية التواضع :** المانحة كل جميل ، والقابلة للحق ، والمتسامحة مع الآخرين ، والمتحبة إلى الناس .
- **ثالثاً: النزاهة :** وهي التعفف عن الحرام والدنيا، والشهوات القاتلة ، التي تودي بالعلم، وتجعله أسفل سافلين .
- **رابعاً: التدينُ الحق :** الذي يظهر الشعائر ويتباعد عن المنهيات ، ويتخلقُ بأخلاق أهل الإسلام وزيّهم وورعهم .
- **خامساً: قلة الطيش :** والتباعد عن السفه قولاً وفعلاً وسلوكاً، فالعلمُ له وقارة وزينته وأدبه..!

- سادسًا: تركُ الغضب : وهو جماع الأخلاق ، ولا يغضب إلا إذا انتهكت محارمُ الله ، كما هو الهدي النبوي .
- فهذه بعضُ ما تضمنته كلمة الخطيب رحمه الله ، والسبب: كثرةُ ورود النصوص النبوية عليهم ، والمكتنزة بالمحاسن والقيم والأخلاق (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) سورة القلم .
- وما يبلغه من سيرِ الصالحين ، والعلماء الربانيين ، وكيف تلقوا هذا العلم ، وأصبحوا به منارات يستضاء بها .
- وكل ما يُنقلُ من آثار الماضين سمًا وخلقًا وعملاً في العلم وتدريسه ، نقتفيه ، ونأخذ محاسنه ، وأما ما حُكي من شدة بعضهم أو جلافة في أحوال العلم ، فلا يتبع ولا يُذكر إلا على سبيل الزجر والنصيحة ، والله الموفق .

١٧/ الهمة والمكرمات..!

- ما أجملَ علوَ الهمة في نفس طيبةٍ خاشعة، بذلتها في طاعة الله ، وسارعت علما وفضلاً وديانة.... روي عن الفاروق عمر رضي الله عنه في مقولة غراء ، أنه قال: (لا تَصْغُرَنَّ همتكم فإني لم أر أقدَّعَ عن المكرمات ، من صِغَرَ الهمم)
- لأنَّ علوَ الهمة يعني : طلبَ الفضائل، وحبَّ المعالي، وأنفسها العلمُ والطاعة للواحد للأحد (خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ) سورة البقرة والأعراف.
- وكلما علت الهمةُ في نفس مؤمنة ، أثمر ذلك لها الجِدَّ والتفوق، والحرصَ والطموح ، والخوف والرجاء، وحسن

العمل والاستعداد ..! فتشط في الدنيا صلاحا، وتعمل
للآخرة فلاحًا .

■ وصغرُ الهمةِ بجانبُ للمكرمات، زاهدٌ في المعالي ، كسولٌ
في الطاعات ، غير آبه بالعلم ودرسه وفقهه وكتبه...! ويبقى
همه الأكل والجمع للدنيا والعناية بها..! وقد يرسخ معه
معنى العبثية الطاغية على بعض الناس... (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا
خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا) سورة المؤمنون . والله المستعان .

■ وجرب من نفسك وافحص حراكها وطموحها ، إذا هبت
للمكرمات فهي على خير ، وإذا عاشت للترهات فهي في
خطر ، وتعين علاجها وطلب الدواء لها ..!

■ وطبها حينئذ : في صديق صادق ، وقراءة نافذة ، وصحبة

صالحة ، ، وتفكير جدي ، وانتشال من واقع ، وارتفاع عن

السفاسف ، والسعي للصلاة والتلاوة وحفظ الجوارح ...!

فمن كان كسولاً في الصلاة، لم يفلح في علمٍ ولا مذاكرة

ولا إنتاج...!

■ وربّ نفسك كثيرا على طلب العلو ، والسعي في الخيرات ،

ولا تزهدنّ في عزٍ معروض ، ولا مجدٍ مطروح .. وقال الإمام

مالك (وعليك بمعالي الأمور وكرائمها، واتق رذائلها وما

سفّ منها؛ فإن الله تعالى يحبُّ معاليّ الأمور ويكره

سفسافها)...!

- وأجلُّ هذه المعالي علمٌ محمود، وطاعة مرغوبة، وهدى محفوظ، وكتب مستنيرة، وإصلاح مبارك، ونفع سيار... (وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ) سورة مريم .
- ومتى ما طابت النفس وعلت همتها، تنزهت عن الرذائل، وضاعت من المعاييب، واتسمت بكل جميلٍ ونيلٍ وجليل..! وصارت الصلاة عندها مرتقى، والعلم قامة، والتلاوة بهاء وعلاء، ومخالطة الصلحاء جنةً وارفة..! وآثرت الكتب على كل متاع ولذة وأنس...!
- لأن الأُنسَ الحقيقي في همةٍ عالية، تُقربنا من الله، وتشعرنا بالغيث المتدفق من حسن الديانة، وشرف الرعاية (احفظِ اللهَ يحفظك). وفي حديثٍ آخر: (وإن أتاني يمشي أتيته

هرولة). قال الشيخ ابن باز رحمه الله: " هذا من الرب تعالى

حثٌ للعباد على ذكره، والمسارعة إلى طاعته ". "وفق الله

الجميع لما يحبه ويرضاه، إنه سميع قريب ..!

٢ / ١١ / ١٤٤٢ هـ

١٨ / سيادة العلم...!

■ في العلم سيادة يرتادها أهلها ، الذين اكتسبوا فضلًا من الله، وعرفوا طريقها، وهي العيش للعلم وأخذه من مصادره، والاستغناء به عن الناس، فلا تُمدُّ أيديهم إلى دنيا زائفة، ولا جاه تالف، ولا ثروات مهددة بالزوال...! قال أعرابي لأهل البصرة: (مَنْ سَيِّدُ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ؟ قالوا: الحسن، قال: بَمَ سَادَهُمْ قالوا: احتاج الناس إلى علمه، واستغنى هو عن دنياهم) لما اغتنيتُ بهذا العلم بلغني.... سيادة الناس في رأيٍ وتأثيرٍ..!

■ والاحتياجُ إلى علم الشيخ سيادةً بحد ذاتها وزعامه منظورة ، وفيها قوة ومنعة، ودعم ومنفعة، وإصلاح وتربية ، وتوجيه وبناء ، شريطة أن لا يتطلع إلى دنياهم، وفي حديث مشهور يحسنه بعضهم لابن ماجه : (ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس) .

■ وهذه زهادةٌ شرفٍ واستعلاء ، بما عندك من الخير والإيمان، فقد أعلا جاهك، وأصلح شأنك، ورفع ذكرك ...
(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)
سورة الحديد .

■ والناسُ يزدادُ حبهم للعلماء ما لم يتدخلوا في دنياهم ،

ويزاحمهم على شهواتهم، ويدركون بذلك فضلهم

وخيريتهم...!

■ ولذلك سادوا بعلمهم المتفضل ، ودينهم المتوهج ،

وورعهم المستغني ، وهذا لبُّ السيادة ، والناسُ

يحتاجونهمفي :

■ علمهم الدفاق : وما فيه من اثر ونعمة، ودعوة وفضل، وزكاة

وآداب .

■ ويحتاجونهم في إصلاح ديني ودنيوي ، وفي تربية مخلصة ،

وفي توجيه سديد...،

■ وهم لهم أحوجٌ من جهة الكلمة المؤثرة ، والموقف البناء ،
والرأي الحكيم .

■ ويحتاجونها في الفتيا والنفع والاحتواء ، وتقريبهم من الله ،
ودلالتهم على الرشاد ، ومفاتيح دارِ السلام .

■ وهم في حاجتهم لتأليف القلوب ، وإصلاح ذات البين ، لأن
كلمتهم مسموعة ، وجاههم مقبول ، ونصحهم مغمور ،
رفعهم الله بفضله ، وزادهم من علمه ، وشرح صدورهم
لذكره ، فوعدت كلماتهم موقع الجلالة والهيبة عند الخلائق ،
وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم ... !

■ والناس في حاجتهم حيث الفتن وردها ، والمحن وكشفها ،
والشبهات ونقضها ، والاجتماع وتحقيقه ، والنزاعات

وكبحها ، فهم مصايح يهتدى بها للإضاءة والنفع
والاسترشاد (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) سورة آل
عمران.

١٦ / ٣ / ١٤٣٩ هـ

١٩ / أثر العلوم الشرعية ..!

■ لكل علمٍ قدره وثمرته ، وقد تبرز له ثمرة باسقة، ونتيجة ساطعة، يقول الإمام الشافعي رحمه الله في تبين أثر بعض العلوم : (من تعلم القرآن عظمت قيمته، و من تكلم في الفقه نما قدره، و من كتب الحديث قويت حجته، و من نظر في اللغة رقَّ طبعه، و من نظر في الحساب جزل رأيه، و من لم يَصُن نفسه ، لم ينفعه علمه) . وهذه ثمار جميلة يستشعرها طلاب العلم .

- فآثر القرآن : في عظمة القيمة، وارتفاع القدر ، وخلوا الشرف الذي لا يضاهيه شرف (لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) سورة الأنبياء.
- وآثرُ الفقه : في علو القدر، واحتياج الناس، وازدحامهم على فتواه وفقهه (لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) سورة النساء .
والفقهاء حكماء ، يسعون خيرا وحكمةً وتوقداً.
- وآثرُ الحديثِ : في قوة الحجة، وسطوع البرهان ، وحضور الأدلة حضرا وسفرا، وسرا وعلانية ، وصحةً وسقما..
- وآثرُ اللغة : في رقة الطبع ، وحلو المنطق، وجمال اللسان، وانسيابية البيان ، حيثُ الاساليب الغراء، والجمال الحسان،
والأشعار العذاب..!

■ **وأثر الحساب :** وهي الرياضة المعاصرة في جزالة الرأي ،
ونفاذ العقل ، ودقة الحكمة ، وحضور الحلول ، وفقه معاني
الحياة وتطوراتها .

■ **ثم زاد الإمامُ رحمه الله (درسا في الأدب) في صيانة العلم**
وحفظه فقال: " ومن لم يَصُن نفسه ، لم ينفعه علمه "
والصيانة تقدم الحديثُ عنها وهي الورع والتعفف مما يشينُ
ويسف ، وجماعُها خلقٌ عظيم ، وأدبٌ رفيع ، يحمل النفس
على تقوى الله في العلم ووضعها في أهله ، وعدم إهانته
وتقيحه ، والله المستعان .

- ولبقية العلوم الأخرى آثارٌ وثمرات ، فالتفسيرُ زكاةُ الروح ،
والعقيدةُ صحةُ الإيمان ، وللمصطلح يقظةُ الفكر ، وفي
الأصول دقةُ الاستنباط ، وللتاريخ سموُ التجربة وغيرها .
- وليُعلم أن هذه الثمرات قد تتداخلُ في بعض العلوم ،
وأيضاً هي لا تدركُ إلا مع المراس وطول الخبرة ، وديمة
التحصيل ، وهي من بركات ذلك العلم وغراسه ، لأن لكل
علم سمةً وغرساً ، وأثراً ونحلةً ، وبقدر ما تتعنى تنالُ ما تتمنى
، وبقدر الجِد تكتسبُ المعالي ، وتُجتنى رفيعُ المعاني ، والله
من وراء القصد ، اللهم علمنا النفع والفضل ، واكتبنا من
عبادك المخلصين .

٢٠ / الفقيه الحقيقي ..!

- ليس الفقه مجرد جمع العلم ، أو حفظ النصوص ، أو صاحب الفتيا والمصنفات .. ! كلاب هو ذلك مع سمات أخرى ، لخصها الحسن رحمه الله .. قال الحسن البصري رحمه الله : (إنما الفقيهُ الزاهدُ في الدنيا، الراغبُ في الآخرة، البصيرُ بدينه، المداوم على عبادة ربه، الورع الكافُّ عن أعراض المسلمين، العفيف عن أموالهم، الناصح لهم).
- ومع الأسف .. الناسُ يطلقونها على صاحب الدروس الفقهية، وحلال النوازل العلمية ، وجماع الكتب

الاستنباطية، وما دروا أن ثمة صفات أخريات ، تلزم الفقيه

الرباني، وهو ما عناها الإمام رحمه الله...!

■ **ومن ذلك : زهده في الدنيا : وتباعده عن ملذاتها ، وقيامه**

بحق العلم، وأن لا يجعلَ علمه سلماً إلى زهرات الحياة ،

وطامعاً في ثرواتها، وأن يعف نفسه عن المذلة والسفه

والاسترزاق .. (وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ

لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا) سورة القصص .

■ **رغبته في الآخرة : الرغبة الصادقة ، والتي تحمله على حسن**

البلاغ ، و نفع الناس ، ومجاهدة الروح، والاستعداد التام،

وجعل العلم طريقاً إلى الله ، ومصدراً للخشية ودوام

الارتحال (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ..) سورة
القصص .

■ بصيرته في الدين : وهو العلمُ المؤصل ، والفقهِ المنظم ،
والعناية الراسخة ، التي تدل على تميزٍ وتفوقٍ ، وقدرةٍ وهمةٍ ،
نتج عنها وعي الشريعة ، وقفو الطريقة المنيعه ، فلا جهلَ ولا
تخليط ، أو خرافة وتعقيد.. (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ
عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ
الْمُشْرِكِينَ) سورة يوسف : ١٠٨ .

■ استدامةُ العبادة: له أوراذه المعروفة ، وسننه المعهودة ، مع
التزام عزيزٍ بالفرائض ، وتوظيفها على الذات ، ومراقبة الله في
كل الأحوال ، بحيث إذا رأيتَهُ رأيتَ معظما للدين ، متشبها

بالحق، لا يساوم عليه.. (ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ

تَقْوَى الْقُلُوبِ) سورة الحج .

■ متورعٌ كاف: قد تحلّى بالعفة وهي النزاهة عن الدنيا

واستجداء الناس ، وكافٌ لسانه عن الأعراض والتدخلات،

والنقدات الزائفة ، وإنما همه العلم ونفع الآخرين ، والقول

بالتي هي أحسن .

■ الناصحُ لهم: حيث الدينُ النصيحة ، والموعظة المليحة ،

يقولها في وقتها، وفي مظان حكمتها، وبالأسلوب اللائق دون

تجريح أو تسفيه، محتسبا قولها، ومتدبرا عاقبتها (وقولوا

للناس حسنا) .

■ وهذا هو الفقه الحقيقي في الزمن الأول ، يقوم على العلم الرباني ، والصلة بالله والاستعداد للآخرة ، ومعالجة أحوال القلوب ، وبه ارتفع القوم ، ثم ظهرت نابتة صرفته إلى الفروع الفقهية والتدقيق الاستنباطي والنزاعات العلمية ، فغلب مسمى الفقيه على من ضبط المتون ، ووعى الفنون ، وهز الغصون ، مع تناسٍ كبير للمعنى الأول ، المشهور قديماً ، ولا حول ولا قوة الا بالله ...!

■ ولذلك قد ترى فقيهاً حاذقاً ، ولكنه قليل الاستعداد ، عزيز الاعتبار ، جاف الدمعة ، عظيم الغفلة ، لم يهذب علمه ، أو يردعه فقهه ، والله المستعان .

■ وهذه معانٍ لأبد من تجديدها في الحياة العلمية،
والمسؤولية تكمن على أساتذة الجامعات وأئمة المساجد
، وما لهم من يدٍ طولى في التدريس والبلاغ ، بحيث ينونَ
نشأً مباركاً ، يعرفُ ربه ، قبل أن يعرفَ متنه وفقهه، والله
الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

٦ / ٥ / ١٤٤٢ هـ

٢١ علاج الحفظ والترسيخ...!

■ مشكلةٌ كثيرٌ من طلبة العلم، استعجالُ حفظ العلم، والمرور سريعاً على المتون والآيات، لمرات معدودات... ثم يتفاجؤون بقلة ثباته، وصعوبة استرجاعه.. وما علموا أن قلة التكرار تفضي إلى الهباء والتباب...

■ يقول الحافظُ الفيروزآبادي رحمه الله صاحبُ القاموس يقول: (كنتُ أُعيدُ الدرسَ مائةَ مرةٍ). والشيخُ الحسن النيسابوري رحمه الله يقول: (لا يحصل الحفظُ لي حتى يعادَ خمسين مرةً). والإمامُ إلكيا الهراسي الطبري رحمه الله كان يعيد الدرسَ سبعين مرةً.

■ وسئل البخاري رحمه الله : عن علاج النسيان فقال: إدامة

النظر ..! والإدامة تعني التكرار الشديد، والحزم المتين ،

والنظر المضني ، واللصوق بالكتاب .

■ وكان العلماء يعدون غير الحافظ ليس من العلماء، وأن

حملان الكتب دائما نقصًا وتقصيرا ... وقال الحافظ هشيم

بن بشير رحمه الله : (من لم يحفظ الحديث ، فليس هو من

أهل الحديث، يجيء أحدهم بكتاب يحمله كأنه سجل

مكاتب) ولمنصور الفقيه :

علمي معي حيث ما يمتُّ يتبعني ** * بطني وعاءٌ له لا جوف صندوقِ

إن كنتُ في البيت كان العلمُ فيه معي ** * أو كنتُ في السوق كان العلمُ في السوقِ

- **فيا مَنْ تهدهد حفظه، كرر كثيرًا، وراجع نصوصك، وإياك والعجلة، ومبادرة العلم بلا وعي واستذكار ..**
- **والناسُ يختلفونَ في ذلك، ولسنا حفاظًا خاطفين كالشافعي وأمثاله، وإن كان هنالك أئمة عانوا في الحفظ، وسهروا وتعبوا تكرارا واسترجاعًا، ومما يساعد على ذلك :**
- **ديممةُ التكرار المُثري : بحيث يطمئن الى ترسيخ المحفوظ.**
- **الإصرارُ وعدم اليأس : والذي قد يتطلبُ مضاعفةَ التكرار .**
- **وزيادة المرات، والتي تتحول الى لذات نافعة ومجالس عامرة..**

■ **اتخاذُ زميلٍ معينٍ** : يراجعُه وينشطه ، ويصحح له ويذكره ،

وباجتماعهما تقوى الهمة، وتحتد العزيمة ، ويحصل الإلف

العلمي، وهو نادر هذه الأيام.

■ **الكتابةُ للمهمات** : والاستعانة بالتقييد ، حيث يثبتُ العلم،

وترسخ القاعدة ، وتعالجُ العثرات الذهنية .

■ **الاستماعُ من الآلات** : فهي معينةٌ مثبتةٌ مرسّخة، وهي مما

امتَنَّ به الله علينا، وباتت كتبُ الأئمة "مسجلة في الشرائط

والمواقع " ويسهل سماعها وحفظها ، وتكرارها لساعات

طويلة... فهل لك من عذرٍ بعدتِ وآلة... تنيحُ بها كلُّ

العلوم وذلتِ..

■ **الصلاةُ به: كالقرآن** ، والتحدث به كالمسائل والنصوص .

■ تخصيصُ وقتٍ محدد: قيل بعد الفجر، والأسحار، وحين

صفاء الذهن، ولكن الأحسن وقتُ انشراح النفس

واستعدادها ليلاً كان أو نهاراً، صيفاً أو شتاءً .

■ قال الزرنوجي رحمه الله في طريقة المراجعة : " وينبغي

لطالب العلم أن يُعدّ ويقدر لنفسه تقديراً في التكرار، فإنه لا

يستقر في قلبه ، حتى يبلغ ذلك المبلغ، وينبغي لطالب العلم

أن يكرّر سبقَ أمس خمس مرات، وسبق اليوم قبل أمس

أربع مرات، والسبق الذي قبله ثلاث مرات، والذي قبله

اثنين، والذي قبله مرة واحدة، فهذا أدعى للحفظ ."

■ والمقصدُ : أن الحفظَ ملحمةٌ من الجهاد والعتاد

والاستعداد ، تتطلب تعباً أولياً ، وجهداً ابتدائياً ، حتى يفتح

الله من فتوحاته، ويفيض من خيراته ، فيُذللُّ العلم، ويهونُ
الحفظ، فيقبل العبد بلا حسابٍ ، ويسارع وهو جذلان...!
قال أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله : "ولقد كنتُ في حلاوة
طلبِ العلم ، ألقى من الشدائد ما هو أحلى عندي من العسل
في سبيل ما أطلبُ وأرجو، وكنتُ في زمن الصِّبا ، آخذُ معي
أرغفةً يابسة، ثم أذهب به في طلب الحديث، وأقعد عند نهر
عيسى، ثم أكل هذا الرِّغيف، وأشرب الماء، فكلُّما أكلتُ
لقمةً شربتُ عليها، وعَيْنُ هِمَّتِي لا ترى إلا لذَّةً تحصيل
العلم".

■ وقد وصف رحمه الله تلك اللذة في طلب العلم، فقال في

أبيات مشهورات :

اللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يُطَوَّلَ مُدَّتِي * * وَأَنَالَ بِالْإِنْعَامِ مَا فِي نَيْتِي
لِي هِمَّةٌ فِي الْعِلْمِ مَا مِنْ مِثْلِهَا * * وَهِيَ الَّتِي جَنَّتِ النَّحُولَ هِيَ الَّتِي
كَمْ كَانَ لِي مِنْ مَجْلِسٍ لَوْ شُبِّهَتْ * * أَجْوَاؤُهُ لَتَشَبَّهَتْ بِالْجَنَّةِ

■ وفي عصرنا الحالي، يستطيع التلامذة المشاركة في برامج

محفزة، وفي بلادنا الغالية تبذل بعض المؤسسات برامج

مشكورة للحفاظ قرآنا وسنة، كوزارة الشؤون الإسلامية من

خلال مسابقة الملك عبد العزيز الدولية للقرآن، ومسابقة

الملك سلمان المحلية لحفظ القرآن، فجزاهم الله

خييرا. وجهود وزارة التعليم مشهورة في ذلك، وفي بعض

الجامعات: برامج حفظ المتون، ودورات حفاظ الوحيين

للشيخ يحيى اليحيى ، عمت ونفع الله بها.. والانضمام لبعضها
مما يعين ويحفز ، حفظ الله البلاد والعباد، ورزق شبابنا
الهممَ العالية في العلم والعمل والخيرات، إنه جواد كريم .

٢٨ / ٣ / ١٤٤١ هـ

**تم الكتاب والحمد لله على
توفيقه وإنعامه....**

المؤلف في سطور

د. حمزة بن فايع إبراهيم آل فتحي

أستاذ الحديث المساعد بقسم الدراسات الإسلامية ، ورئيس

قسم الشريعة بتهامة .

شغلَ منصب وكيل القبول.. وشؤون الطلاب لمدة ثلاث

سنوات من سنة ١٤٣٥ هـ، إلى سنة ١٤٣٧ هـ.

عضو اللجنة الثقافية وجمعية الأيتام بمحايل .

له ثلاث بحوث علمية محكمة في السنة منشورة .

وصنّف أكثر من (١٠٠) مصنفا في الحديث والدعوة والثقافة

منها :

طلائع السلوان في مواظ رمضان .

نسماتٌ من أم القرى .

شجَنُ المنابر وهتن المحابر.

أزمة الفهم .

مواقف علمية للأئمة الأسلاف.

سلالمُ العلم ومدارج الفهم .

ما يعيش له الجهابذة .

مخاطر الفكر الثوري والتكفيري .

أدويةُ الشتات العلمي .

سلسلة أربعينيات متنوعة منها: النصر ، والبركة، والمعالي .

والثباتية . والبلسمية، والسنن الإلهية، والسنوات الخداعات،

والذكائية .

وهو كاتب وناظم.

ومن الدواوين الشعرية :

عاصفة الحزم - توهجات النيل - وطن ومنن - مشاعر

ومفاخر - محايليات - فهزموهم بإذن الله.

ومن المنظومات : الكوكب الساري على تراجم البخاري -

وسلسال النهر نظم نخبة الفكر - ومناثر الإسعاد نظم لمعة

الاعتقاد وغيرها . والله الموفق .

فهرس المحتويات

- ١ المستهل
- ٤ ١/ (ولكن كونوا ربانيين)..
- ٩ ٢/ فقه محاسن العلم..
- ١٥ ٣/ الاستكثار العلمي والثمرة المرجوة
- ٢٠ ٤/ الأدب والتعبد قبل الطلب..
- ٢٥ ٥/ مقاصد التعليم والدعوة..
- ٢٩ ٦/ طالب العلم المتجدد..
- ٣٣ ٧/ هيبة العلم وجلالته
- ٣٩ ٨/ مبادرة العلم بالعمل
- ٤٤ ٩/ المال العلمي
- ٤٩ ١٠/ علامات العلم النافع..
- ٥٣ ١١/ الذكاء العلمي والذكاء الاصطناعي..
- ٦١ ١٢/ المتجاسرون على الفتيا..
- ٦٦ ١٣/ الصبغة العلمية للمسلم
- ٧٠ ١٤/ تنمية العلم وتجيده في حياتنا..
- ٧٥ ١٥/ عادات قرائية..

